

# التونسيون يرفضون الإخوان لأكثر من بديل وأكثر من سبب



على السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية دون خوف أو تذمر. لماذا لم ينتفض الحقوقيون ضد قيس سعيد ويبدون قلقهم من التأخير في تشكيل حكومة، ذلك لأن لهم الثقة في شخصه. ولماذا لا يعترض المتدينون على تضيق الخناق ضد جماعة تريد أن تحكم باسم الإسلام، ذلك لأنهم يمتلكون بديلا أنفع عند الله والعباد، يتمثل في الإسلام الشعبي البريء والتراث الصوفي الذي تزخر به البلاد ويعيد لها توازنها الروحي، خصوصا وأن الزوايا والجماعات الصوفية تعرضت للتخريب والتضييق من طرف الإخوان وحلفائهم من السلفيين.

لن يحن التونسيون إلى فترة حكم الإخوان لأن الطيور إن هجرت لا تعود إلى أقفاصها أبدا.

ووجدوا خيارهم وبديلهم السياسي في هذا الرجل الذي أثبت صدقيته في نفاذ صبره من الإخوان وحلفائهم في الحكومة وبعض الأحزاب الانتهازية، وكذلك الجهات المخفية وراء المطالب الحقوقية. لسان حال قيادات حركة النهضة يقول وهو ينظر إلى هذه الحشود الهائلة من الواقفين خلف الرئيس: كان من المفترض أن يكون هؤلاء معنا، فلماذا انفضوا عنا بل ويطالبون بمحاكمتنا.. لا بد أن في الأمر سرا.

السر يكمن ببساطة، في أن حساباتهم كانت مغلوبة لأنها بنيت على باطل، ولأن هذا "الشعب الزرق" قد منحه تجربته المرة مع حكم الإخوان بوضوح لا يمكن لها أن تضع الطريق. ولو كان هذا الشعب "ملولا" بالتوصيف المرضي لما منح ثقته لرجل ائتمنه الناس

وقوته على مسار السنين من خلال دعمها وليس عبر قوة ذاتية أو دعم محلي، وقد هتمت هذه القوى أن الإسلام السياسي انتهى، فرغت يدها عنه مما أدى إلى ضعف حركة النهضة التي بدأت بالانقسام والتفتت.

هذا البناء المتداعي كان ايلا للسقوط قبل أن يبادر الرئيس قيس سعيد إلى قراره بتجميد البرلمان وحل الحكومة حين فاض الكاس، وفي مبادرة لم تكن سوى استجابة لما تسعى إليه المجموعة الوطنية.

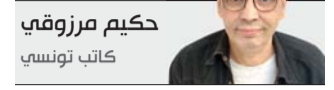
الم يكن شعار الرجل "الشعب يريد" في انتخابات 2019 التي دخلها دون حزب، وخاضها مستسحا بعزيمة حشود هائلة من الشباب الذين كانوا بالأصل، هدفا ومطعنا لحركة النهضة في احتوائه، ولكن مبهات.. فهؤلاء الشباب

على مضمض، طريقة استقبال أنصار الغنوشي لرعيهم في المطار باهزيمة "طلع البدر علينا"، يدعون اليوم إلى محاسنهم ويحملونه كل تبعات ما شهدته تونس من مشاكل وتحولها إلى بؤرة توتر لم تعرفها البلاد في تاريخها. ما الذي يجري؟ هل ضعف إسلام التونسيين فجأة بعد أن منح قسم كبير منهم أصواته لحركة النهضة، وبرز الإسلام السياسي بجميع أطيافه وتعبيراته، حتى صارت تونس تعرف تهكما بـ"تونستان".

لأن التونسيين لا يلدغون من جور الإخوان ثلاث مرات ولأن الخطاب الديني المسيس لا يطعم خبزا، فقد بينت استطلاعات الرأي الأخيرة رفض الشعب التونسي للتيارات الإسلامية وانهايار شعبيتها وفقدان الثقة فيها

الحقيقة التي لا تقبل التشكيك لدى جميع من يعرف التونسيين عن قرب، هو أن حملة الأسلمة التي شهدتها البلاد أول وصول الإخوان إلى الحكم، قد استنقت بالظلمة التاريخية المزعومة، وسط مناخ إقليمي ودولي متشعب، بالإضافة إلى المال السياسي الذي تدفق من كل حذب وصوب، وساهم في شراء الذمم وتجنيذ أصحاب النفوس الضعيفة.

أما السبب الذي يبدو خفيا وعصيا على التشخيص في نظر المراقبين، فهو المزاج التونسي الميال إلى المغامرة



التونسي الذي يذهب إلى صلاة الاستسقاء ومعه مظلة واقية من المطر، سيشتك فوراً في قوة إيمان من يومه الصلاة، وينفض من حوله إن عاد إلى بيته والجفاف سيد الموقف. هذه المغاربة الكاريكاتيرية التي يروّج لها مدعو الاعتدال والوسطية، قد تقسو على التونسيين قليلا، تهتهم بالنزق ونفاذ الصبر في عالم السياسة المبني بطبيعته، على التخطيط والروية، لكنها تتجاهل الوجود الكاذبة التي أطلقها الإسلاميون مع شركائهم بالحكم في العشرية الأخيرة، وتحاول تبرئتهم من الفساد الذي صار سلوكا يوميا.

نعم، يكاد يجمع المراقبون والمتخصصون في علم النفس الاجتماعي (السيكو - سوشاليزم) على أن المجتمع التونسي صار ملولا وقلوقا أكثر من أي وقت مضى، وودع سنوات الصبر الطويل مرة واحدة وإلى الأبد.

نعم، يكاد يجمع المراقبون والمتخصصون في علم النفس الاجتماعي (السيكو - سوشاليزم) على أن المجتمع التونسي صار ملولا وقلوقا أكثر من أي وقت مضى، وودع سنوات الصبر الطويل مرة واحدة وإلى الأبد.

رغم فوضويتها، هو تحطيم التماثيل المقدسة في عالم السياسة وعدم تحمل خطيئها الرئانة الطويلة المحفوظة بالوعود الكاذبة أمام وضع اقتصادي واجتماعي يسوء يوما بعد يوم.. "لو كانت يدها تنفتي، كانت غيمت" كما يقول المثل الشامي.

وهكذا أدار التونسيون ظهورهم إلى الذين قدموا أنفسهم في الأمس القريب كمخلصين، بنفس الحماسة التي أقبلوا فيها عليهم بل ودعوا إلى محاسبتهم وزج بعض قياديينهم في السجون التي كانوا يقبعون فيها أيام حكم الرئيس الأسبق زين العابدين بن علي.

شيء ما قد حدث، وإلا فما الذي جعل الناس الذين كانوا يتقبلون، ولو

## مفوضية الانتخابات في ليبيا والرهان على جدية المجتمع الدولي

### العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن  
1977 أسسها  
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير المسؤول  
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام  
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير  
مختار الدبابي  
كرم نعمة  
منى المحروقي

مدير النشر  
علي قاسم

المدير الفني  
سعيدة يعقوبي

تصدر عن  
Al-Arab Publishing House  
المكتب الرئيسي (لندن)  
The Quadrant  
177 - 179 Hammersmith Road  
London, W6 8BS, UK  
Tel: (+44) 20 7602 3999  
Fax: (+44) 20 7602 8778

الإعلان  
Advertising Department  
Tel: +44 20 8742 9262  
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk  
editor@alarab.co.uk

الحزبية والعقائدية والمناطية والاقتصادية وحتى القبلية، ويلعبون على جميع الحبال، ويستعملون جميع أدواتهم لتجنيد من يرونه صالحا لخدمته مشروعهم حتى ولو كان معاديا له، فالهم ليس أن تكون صديقا لهم وإنما أن تكون عدوا لعدوهم.

استطاع الإخوان إقناع الكثير من السذج بأنهم المدافعون الأصليون عن الدولة المدنية، حتى منظرهم تنظيم القاعدة باتوا يرون أن الانتخابات قد تأتي إلى الحكم لمخالفين للدولة المدنية الديمقراطية.

أهم دوافع الإخوان والداثرين في فلكهم لعرقلة الانتخابات، هو رفضهم ترشح قائد الجيش المشير خليفة حفتر الذي لا يستقنيه قانون انتخاب الرئيس الصادر عن البرلمان من هذا الحق، وكذلك معارضتهم لترشح سيف الإسلام القذافي أو من يمثله. هم لا يريدون رموزا في مواجهتهم، ولا يريدون أن يناقشهم أعداؤهم على الحكم، ولدى الإخوان ومن يوالونهم ميليشيات قادرة على إفساح الانتخابات، وفي أكثر من مناسبة حذروا من أن فوز حفتر أو نجل القذافي يعني العودة إلى الحرب والانقسام.

المجتمع الدولي يبدي إصرارا واضحا على تنظيم الانتخابات، والأميركيون لا يعارضون ترشح حفتر، والروس يؤكدون على ضرورة ترشح سيف الإسلام، والأوروبيون يريدون انتخابات باي ثمن، والشعب الليبي المغلوب على أمره يريد لحظة يعبر فيها عن إرادته الحرة. ولكن لا بد من الاعتراف بأن تلك الإرادة مختلطة في غرب البلاد، وهي خاضعة لدور إخواني شرس ولحضور تركي عنيد ولأمراء حرب لا يرغبون في أن تستعيد الدولة قوتها وسيادتها بما يحول دون استمرار نفوذهم المفروض بقوة السلاح.

هل ستنتظم الانتخابات في موعدها؟ مبدئيا كل المؤشرات لا تنبئ بخير، ولكن المجتمع الدولي قد يستقوي على الجميع بشرعيته معتمدا على أدواته المتوفرة في الدفع نحو الاستحقاق في موعده، ولعل المفوضية الوطنية العليا المستقلة للانتخابات تراهن على هذا الموقف، وهي تترك جيدا أن أقوى اقوياء المنطقة الغربية سيعودون إلى أسوأ حالات الضعف عندما يكون المجتمع الدولي جنيا في مواجهتهم بالقانون وبالبيات تنفيذ.

الإسلاميون هم أساس البلاء يتسربلون في كل أشكال اللبوس الحزبية والقبلية والاقصادية ويلعبون على جميع الحبال ويستعملون أدواتهم لتجنيد من يرونه صالحا لخدمة مشروعهم حتى ولو كان معاديا له

مشروعها وتطلعاتها لا يشارك فيها المشير خليفة حفتر ولا سيف الإسلام القذافي ولا مؤيدو الجيش ولا أنصار النظام السابق، وأباي الفاسدين ممن يشترتون الأصوات ويعبثون بالتوجهات العامة لأعضاء الملتقى كما حدث في جولتي تونس وجنيف. وهناك يد فوق تلك الأيدي تسندها وتشد عليها وتضخمها بالمزيد من هيدروجين التشديد وهي يد تركيا الساعية للبقاء إلى ما لا نهاية في البلاد الغنية بالنفط والغاز وذات الموقع الاستراتيجي الهام.

يجد المجلس الرئاسي نفسه تحت الضغط الدولي وفي خلاف واضح مع الحكومة، ويبدو أنه لا يريد أن يكون في صف المعرقلين، لذلك لوح باستخدام صلاحياته وإصدار مرسوم دستوري لتنظيم الانتخابات يتحدى به فشل ملتقى الحوار، ويضع الجميع أمام الأمر الواقع. وقد عبر عن ذلك رئيس المجلس محمد يونس المنفي ونائبه موسى الكوني، وقد يكون ذلك المرسوم هو آخر الطب في مواجهة محاولة تأجيل الانتخابات إلى موعد غير محدد.

بقليل من المتابعة، يبدو واضحا أن ليبيا تعيش مرحلة انقسام حاد لم تعرفه منذ تأسيس الدولة الحديثة في العام 1951، يلعب فيها الإسلام السياسي دورا هاما. لم يكن من العجب أن منع الملك إدريس جماعة الإخوان من النشاط عام 1952 وأن معمر القذافي فعل نفس الشيء بعد 20 عاما. فالإسلاميون في ليبيا هم أساس كل أشكال البلاء، وبدا واضحا خلال السنوات الماضية أنهم يتسربلون في كل أشكال اللبوس

رئيس مجلسي الدولة خالد المشري من انقلاب جديد سيقوم به على مسار الحل السياسي في حال الاعتراف بالقانون، وأعلن أعيان مصراتة موقفا مماثلا، وأصدر عدد من أعضاء البرلمان المقاطعين بياناً يرفضون فيه الاعتراف بخطوة زملانهم في طريق وبدأت حرب إعلامية حامية الوطيس ضد الانتخابات التي يعتقد الإخوان والداثرين في فلكهم من أمراء الحرب والزعامات الجهوية في غرب البلاد، أنها لن تكون ديمقراطية أو تعددية أو نزيهة وذات صدقية إلا إذا ضمنت فوزهم بنتائجها، أما عدداً من فتي مؤامرة خارجية لدعم الثورة المضادة وخطة معادية لثورة فبراير وإرادة الشعب ومستقبل ليبيا.

فشل ملتقى الحوار السياسي في التوصل إلى إيجاد قاعدة دستورية للانتخابات، وكانت هناك أياد كثيرة تعمل في الخفاء لتثبيت الفشل، من بينها أيادي الحكومة التي ترغب في الاستمرار في الحكم وتعمل على أنها ستحكم أبدا، وليس على أنها ستتحول إلى حكومة تصريف أعمال في الرابع والعشرين من ديسمبر، وأباي الإخوان التي تريد انتخابات على مقياس

تواجه ليبيا حالة من الانقسام الحاد والتجاذبات السياسية والاجتماعية والمناطية، وتعمل قوى عدة من داخلها على عرقلة الاستحقاق الانتخابي الذي تعتقد أنه لا يخدم مصالحها. فالصراع على السلطة على أشده في البلاد، وهو يزداد حدة بغياب الوعي الحقيقي بمفهوم الدولة. منطق المنطقة والقبلية والمصلحة العقائدية والحزبية يتجاوز فكرة الانتماء الوطني ويتحدى مبدأ السيادة، ومصالح الأفراد المترسبين وراء شعارات الثورة والديمقراطية الوهمية والدولة المدنية الزائفة يملو على مصالح المجتمع ولا يعترف بحقوق الشعب الأساسية في أن يختار السلطة التي تدير شؤونه.

قبل أيام، صدق رئيس مجلس النواب عقيلة صالح على قانون انتخاب الرئيس، وأرسل منه نسخا إلى المجلس الرئاسي ورئاسة الحكومة ومفوضية الانتخابات وإلى البعثة الأممية التي أعلن رئيسها عن تلقيه النسخة أثناء مداخلته أمام مجلس الأمن الجمعة الماضي. اهتزت قوى الإسلام السياسي غضبا وتنديدا بالقانون وبموقف يان كوبيتش، وأخرجت كل ما لديها من مفردات التشكيك في دور البعثة، حذر



تتصرف المفوضية العليا المستقلة للانتخابات في ليبيا، وكان الرابع والعشرين من ديسمبر القادم. وهذا أمر إيجابي بالتأكيد، ويبعث الكثير من التفاؤل في أوساط الشعب الغليبان الذي يحلم بيوم يذهب فيه ليختار بملء إرادته ومن خلال صناديق الاقتراع السلطات التي ستحكمه خلال المرحلة القادمة.

تعتمد المفوضية في تقييمها للواقع على المواقف الأممية والدولية الضاغطة من أجل أن يتم الاستحقاق في موعده، وهي تترك ما للتأثير الخارجي من دور في تحديد المسارات العامة في البلاد المخترقة منذ عشر سنوات، والحكومة بإرادات اجنبية متداخلة المصالح ومتناقضة الحسابات والتصورات، لكنها في ذات الواقع تتابع عن كثب حقيقة ما يدور في مجالس أصحاب القرار من الزعامات المحلية، وتعلم جيدا أن الساعين لتأجيل الانتخابات أكثر من الراغبين في تنظيمها.

